باب الشفاعة

وقول الله عز وجل: ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ** ﴾[1].

وقوله: ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ﴾[2].

وقوله: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾[3].

وقوله: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ** ﴾[4].

وقوله: ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ** ﴾[5] الآيتين.

قال أبو العباس: نفى الله عمَّا سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة: فبين أنها لا تنفع رلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾[6].

باب الشفاعة

إنما ذكر المصنف الشفاعة فى تضاعيف هذه الأبواب لأن المشركين يبرِّرون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم، مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون، ولكن حيث أن لهم عند الله جاها عظيما ومقامات عالية ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرب إلى الوجهاء عند

---

(١) سورة الأنعام آية: (٥١).
(٢) سورة الزمر آية: (٤٤).
(٣) سورة البقرة آية: (٢٥٥).
(٤) سورة النجم آية: (٢٦).
(٥) سورة سبأ آية: (٢٢، ٢٣).
(٦) سورة الأنبياء آية: (٢٨).

فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون هى منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبى ﷺ: «**أَنَّهُ يَأتى فَيَسجُدُ لربِّه وَيَحمَدُهُ ـ لاَ يَبدَأ بالشَّفَاعَة أَوَّلاً ـ ثُمَّ يُقَال لَهُ: ارفَع رَأسَكَ، وَقُل يَسمَع، وسَل تُعطَ، واشفَع تُشَفَّع**»(١).

وقال أبو هريرة له ﷺ من أسعد الناس بشفاعتك؟ قَالَ: «**مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ خَالصاً من قَلبه**» فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه فى مواضع، وقد بين النبى ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. أ هـ كلامه.

الملوك والسلاطين ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهم.

وهذا من أبطل الباطل، وهو تشبيه لله العظيم ملك الملوك الذى يخافه كل أحد وتخضع له المخلوقات بأسرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء فى تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم.

فأبطل الله هذا الزعم، وبين أن الشفاعة كلها له، كما أن الملك كله له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بأذنه، ولا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله، ولا يرضى إلا

---

(١) البخارى: ك (٦٥) ب (١) سورة البقرة ح (٤٤٧٦) وطرفاه (٦٥٦٥، ٧٤١٠).
مسلم: (١) ب (٨٤) ح (١٩٣).
(٢) البخارى: ك (٣) ب (٣٣) ح (٩٩) وطرفه (٦٥٧٠)، النسائى الكبرى: ك (٥٠) ب (٣) ح (٥٨٤٢) إسناده حسن، أحمد: (٢/ ٣٧٣/ رقم: ٨٨٨٠) إسناده حسن (٢/ ٥١٨/ رقم: ١٠٧٢٤) إسناده حسن لغيره.

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهى المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ وأنه لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد فإذا أذن له شفع.

السادسة: من أسعد الناس بها.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

توحيده وإخلاص العمل له.

فبين أن المشرك ليس له حظ ولا نصيب من الشفاعة.

وبين أن الشفاعة المثبتة التى تقع بإذنه ربما هى الشفاعة لأهل الإخلاص خاصة وأنها كلها منه، رحمة منه، وكرامه للشافع، ورحمة منه وعفوا عن المشفوع له، وأنه هو المحمود عليها فى الحقيقة، وهو الذى أذن لمحمد ﷺ فيها وأناله المقام المحمود.

فهذا ما دل عليه الكتاب والسنة فى تفصيل القول فى الشفاعة.

وقد ذكر المصنف رحمه الله كلام الشيخ تقى الدين فى هذا الموضع وهو كاف شاف.

فالمقصود فى هذا الباب ذكر النصوص الدالة على إبطال كل وسيلة وسبب يتعلق به المشركون بآلهتهم، وأنه ليس لها من الملك شىء، لا استقلالا، ولا مشاركة، ولا معاونة، ولا مظاهرة، ولا من الشفاعة شىء. وانما ذلك كله لله وحده، فتعين أن يكون المعبود وحده.

باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[1]

وفى الصحيح عن أبى المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل. فقال له: «**يَا عَمِّ قُل لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ كَلِمَةً أحَاجُّ لَكَ بِهَا عِندَ اللهِ**» فَقَالا لَهُ: أَتَرغَبُ عَن مِلَّةِ عَبدِ المُطَّلِبِ؟ فَأَعاد عَليه النبى ﷺ، فَأعادا. فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبى ﷺ: «**لأَستَغفِرَنَّ لَكَ مَا لَم أُنهَ عَنكَ**» فأنزل الله عز وجل: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ** ﴾[2] وأنزل فى أبى طالب ﴿**إِنك لا تهدى من أحببت وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾[3].

فيه مسائل

الأولى: تفسير ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية.

الثانية: تفسير قوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾. الآية.

باب قول الله تعالى

وهذا الباب أيضا نظير الباب الذى قبله، وذلك أنه إذا كان ﷺ هو أفضل الخلق على الإطلاق وأعظمهم عند الله جاها وأقربهم إليه وسيلة لا يقدر على هداية من أحب هداية التوفيق. وانما الهداية كلها بيد الله فهو الذى تفرد بهداية القلوب كما تفرد بخلق المخلوقات فتبين أنه الإله الحق.

---

(١) سورة القصص آية: (٥٦). (٢) سورة التوبة آية: (١١٣).

(٣) البخارى: ك (٢٣) ب (٨٠) ح (١٣٦٠) وأطرافه (٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢، ٦٦٨١). مسلم: ك (١) ب (٩) ح (٢٤)، النسائى: ك (٢١) ب (١٠٢) ح (٢٠٣٥) صحيح، أحمد: (٥/ ٤٣٣/ رقم: ٢٣٧٣٦) صحيح.

الثالثة: وهى المسألة الكبيرة تفسير قوله «**قُل لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ**» بخلاف ما عليه من يدعى العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبى ﷺ إذا قال للرجل «**قل لا اله إلا الله**» فقبح الله مَن أبو جهلٍ أعلمُ منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جده ﷺ ومبالغته فى اسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم اسلام عبد المطلب واسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهى عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين فى ذلك لاستدلال أبى جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل فى كبر هذه الشبهة فى قلوب الضالين لأن فى القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

وأما قوله تعالى: ﴿**وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم**﴾.

فالمراد بالهداية هنا هداية البيان، وهو ﷺ المبلغ عن الله وحيه الذى اهتدى به الخلق.

(باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين)

وقول الله عز وجل: ﴿ **يا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ** ﴾[1].

وفى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾[2] قال: «هَذه أَسمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِن قَومِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحَى الشَّيطَانُ إِلَى قَومِهِم أن انصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِم التى كَانوا يَجلِسُونَ فِيهَا أَنصَاباً وَسَمُوهَا بِأَسمَائِهِم فَفَعَلُوا وَلَم تُعبَد حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولئكَ وَنُسِىَ العِلمُ عُبِدَت»[3].

وقال ابن القيم ـ قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ «**لاَ تُطرُونِى كَمَا أَطرَت**

باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين

والغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة فيه شىء، فإن حق الله الذى لا يشاركه فيه مشارك، هو الكمال المطلق، والغنى المطلق والتصرف المطلق، من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه.

فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبا من هذه الأشياء فقد ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك.

---

(١) سورة النساء آية: (١٧١).
(٢) سورة نوح آية: (٢٣).
(٣) البخارى: ك (٦٥) سورة نوح ب (١) ح (٤٩٢٠).

النَّصَارَى ابنَ مَرَمَ إِنَّما أَنَا عَبدٌ ـ فَقُولُوا عَبدُ اللهِ وَرَسولُهُ»[1] أخرجاه.

وقال ـ قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكم وَالغُلوَّ فَإِنَّمَا أَهلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم الغُلُوُّ»[2].

ولمسلم عن ابن مسعود ـ أن رسول الله ﷺ قال: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُون» قالها ثلاثا[3].

(فيه مسائل)

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية:معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

ومن رفع أحدا من الصالحين فوق منزلته التى أنزله الله بها فقد غلا فيه وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين.

والناس فى معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة

---

(١) البخارى: ك(٦٠) ب (٤٨)ح (٣٤٤٥) وأصل الحديث فى المظالم رقم (٢٤٦٢) والحديث ليس فى مسلم كما قال المؤلف ولكن قصة الرجم التى فى الحديث بطوله عند مسلم برقم (١٦٩١) بنفس السند عند البخارى راجع تحفة الأشراف للمزى (٨/ ٤٨، ٥٠).
ورواه أيضا: الدارمى: ك (٢٠) ب (٦٨) ح (٢٧٨٤)، أحمد: (١/ ٢٣/رقم: ١٥٥) صحيح (١/ ٢٤/ رقم: ١٦٥) صحيح (١/ ٤٧/ رقم: ٣٣٣) صحيح (١/ ٥٥/ رقم: ٣٩٣) صحيح لغيره.

(٢) النسائى: ك (٢٤) ب (٢١٧) ج (٣٠٥٩) إسناده صحيح.
ابن ماجه: ك (٢٥) ب (٦٣) ح (٣٠٢٩) إسناده صحيح.
أحمد: (١/ ٢١٥/ رقم: ١٨٥٦) إسناده صحيح. (١/ ٣٤٧/ رقم: ٣٢٤٧) إسناده صحيح.

(٣) مسلم: ك (٤٧) ب (٥) ح (٢٦٧٠)، أبو داود: ك (٣٤) ب (٦) ح (٤٦٠٨) إسناده حسن، أحمد: (١/ ٣٨٦/ رقم: ٣٦٥٤) إسناده حسن.

الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل.

فالأول محبة الصالحين.

والثانى فعل أناس من أهل العلم والدين شيئا أرادوا به خيرا فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

السادسة: تفسير الآية التى فى سورة نوح.

السابعة: جِبِلَّة الآدمى فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب للكفر.

التاسعة:معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية وهى النهى عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرة النهى عن التماثيل والحكمة فى إزالتها.

لهم والتوقير والتبجيل.

وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التى أنزلهم الله بها. وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم ويقومون بحقوقهم الحقيقية ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

والصالحون أيضا يتبرؤون من أن يَدَّعُوا لأنفسهم حقاً من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى عليه السلام: ﴿ **سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَن أَقُولَ مَا لَيسَ لِى بِحَقٍ** ﴾.

الثالثة عشرة: معرفة شأنِ هذه القصة وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهى أعجب وأعجب قراءتهم إياها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم فى قوله: «**لا تُطرُونى كَمَا أَطَرت النَّصَارَى ابنَ مَريَمَ**» فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته ايانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

حَقٌ خَاصٌ لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة، والإنابة إليه حباً وخوفاً ورجاءً.

وحَقٌ خَاصٌ للرُّسلِ وهو توقيرهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة.

وحَقٌ مُشتَرَكٌ وهو الإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلا وللرسل تبعا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم: والله أعلم.

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

فى الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما بها من الصور فقال: «**أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فيهم الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَو العَبدُ الصَّالِحُ بَنَوا عَلَى قَبرِه مَسجداً وَصَوَّرُوا فيه تلك الصُّوَرَ. أُولَئِكَ شرارُ الخَلقِ عِندَ الله**»[1] فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَينَ الفِتنَتَينِ، فِتنَةِ القُبُورِ، وَفِتنَةِ التَّمَاثِيلِ.

ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصةً له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: «**لَعنَةُ الله عَلَى اليَهُود والنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبيَائهم مَسَاجِدَ. يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا**»[2] أخرجاه.

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إنى أبرأُ إِلَى الله أَن يَكونَ لِى منكُم خَلِيلٌ فَإِنَّ الله قد**

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

باب ما جاء أن الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله.

---

(١) البخارى: ك(٨) ب(٥٤) ح(٤٣٤) وأصله برقم(٤٢٧)، مسلم: ك(٥) ب(٣) ح(٥٢٨)، النسائى: ك(٨) ب(١٣) ح(٧٠٤) صحيح، أحمد: (٦/ ٥١/ رقم: ٢٤٣٠٦) صحيح.

(٢) البخارى: ك (٨) ب (٥٥) ح (٤٣٥، ٤٣٦) ولهما أطراف.
مسلم: ك (٥) ب (٣) ح (٥٣١)، النسائى: ك (٨) ب (١٣) ح (٧٠٣) صحيح، الدارمى: ك (٢) ب (١٢٠) ح (١٤٠٣) صحيح، أحمد: (١/ ٢١٨/ رقم: ١٨٨٩) صحيح (٦/ ٢٢٩/ ٢٥٩٧٠) صحيح (٦/ ٢٧٥/ ٢٦٤٠٧) صحيح.

اتَّخَذَنى خَليلاً كَمَا اتَّخَذَ إبراهيمَ خَليلاً ولَو كُنتُ مُتَّخذاً من أُمَّتى خَليلاً لاتَّخَذتُ أَبا بكر خَليلاً، أَلاَ وَأَنَّ مَن كَانَ قَبلَكم كَانُوا يَتَّخذُونَ قُبُورَ أَنبيائهم مَسَاجِدَ، أَلاَ تَتَّخذوا القُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّى أَنهاكُم عَن ذَلكَ»[1].

فقد نهى عنه آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو فى السياق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قوله «خشى أن يتخذ مسجدا» فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا، كما قال ﷺ **«جُعلَت لِى الأَرضُ مَسجِداً وَطَهُوراً»**[2].

ما ذكر المصنف فى البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم.

وذلك أن ما يفعل عندها نوعان: مَشرُوعٌ وَمَمنُوعٌ.

أَمَّا المَشرُوعُ فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعى من غر شد رحل، يزورها المسلم متبعا للسنة فيدعو لأهلها عموما ولأقاربه ومعارفه خصوصا فيكون محسنا إليهم بالدعاء لهم وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم، ومحسنا الى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

وَأَمَّا المَمنُوعُ فإنه نوعان:

أَحَدُهُمَا: محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفى أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

---

(١) مسلم: ك (٥) ب (٣) ح (٥٣٢).
النسائى الكبرى: ك (٨٢) سورة النساء ب (١٠٣) ح (١١١٢٣) صحيح.

(٢) ثبت هذا الحديث عن جابر بن عبد الله وغيره من الصحابة.
البخارى: ك (٧) ب (١) ح (٣٣٥) أطرافه (٤٣٨، ٣١٢٢)، مسلم: ك (٥) ب (١) ح (٥٢١)، النسائى: ك (٤) ب (٢٦) ح (٤٣٢) صحيح، الدارمى: ك (٢) ب (١١١) ح (١٣٨٩) صحيح، أحمد: (٣/ ٣٠٤/ رقم: ١٤٢٧٤) صحيح.

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا: «**إنَّ من شرار النَّاس مَن تُدركُهُم السَّاعَةُ وَهُم أَحيَاءٌ، وَالذينَ يَتَّخذُونَ القُبُورِ مَسَاجِدَ**»[1] ورواه أبو حاتم فى صحيحه.

فيه مسائل

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهى عن التماثيل وغلظ الأمر فى ذلك.

الثالثة: العبرة فى مبالغته ﷺ فى ذلك كيف بين لهم هذا أولا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة فى عدم إبراز قبره.

وَالنَّوعُ الثَّانى: شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عباد الأصنام مع أصنامهم.

ولا فرق فى هذا بين أن يعتقد الفاعل لذلك أنهم مستقلون فى تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن المشركين يقولون ﴿**مَا نَعبُدُهُم إِلاَّ لِيُقَرِّبونَا إِلَى الله زُلفَى**﴾ و ﴿**يَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ الله**﴾.

---

(١) أحمد: (١/ ٤٠٥)/رقم: ٣٨٤٣) صحيح لغيره (١/ ٤٣٥/رقم: ٤١٤٢) صحيح لغيره (١/ ٤٥٤/رقم: ٤٣٤١) صحيح لغيره.
ابن حبان: (٤/ ٣٤/رقم: ٢٣١٩) صحيح لغيره.

التاسعة: فى معنى اتخاذها مسجدا.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجدا وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره فى خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بلى به رسول الله ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الاشارة إلى خلافته.

فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر، وأن من اعتقد أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم يكفر[1].

من زعم ذلك قد كذب ما جاء به الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة من أن من دعى غير الله فهو مشرك كافر فى الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين.

وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

فعليك بهذا التفصيل الذى يحصل به الفرقان فى هذا الباب المهم الذى حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل، ولم ينج من فتنته الا من عرف الحق واتبعه.

---

(١) لعله ـ لم يكفر.

باب ما جاء أن الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

روى مالك فى الموطأ: أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لاَ تَجعَل قَبرِى وَثَناً يُعبَدُ. اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيائِهِم مَسَاجِدَ**»[1] ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿**أَفَرَأَيتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى**﴾[2] قال: كانَ يَلتُّ لَهُم السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبرِهِ[3].

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كَانَ يَلتُّ السَّوِيقَ لِلحَاجِّ[4] وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج[5]. رواه أهل السنن.

فيه مسائل

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

---

(١) الموطأ: ك(٩) ب(٢٤) ح(٨٥) مرسل بسند صحيح ووصله ابن عبد البر فى التمهيد (٥/ ٤٢ـ ٤٣) والمرسل أصح المتصل.

(٢) سورة النجم آية: (١٩).

(٣) ابن جرير (١١/ ٢٧/ ٣٥) ضعيف موقوف.

(٤) ابن جرير: (١١/ ٢٧/ ٣٥) ضعيف موقوف.

(٥) أبو داود: ك(١٥) ب(٨٢) ح(٣٢٣٦) ضعيف. الترمذى: ك(٢) ب(٢٣٥) ح(٣١٩) ضعيف. النسائى: ك(٢١) ب(١٠٤) ح(٢٠٤٣) ضعيف. ابن ماجه: ك(٦) ب(٤٩) ح(١٥٧٥) حسن لغيره وهو بلفظ «**زوارات القبور**» وليس فيه «**والمتخذين عليها..**» أحمد: (١/ ٢٢٩/ رقم: ٢٠٣٥) ضعيف (١/ ٢٨٧/ رقم: ٢٦٠٧) ضعيف. (١/ ٣٢٤/ رقم: ٢٩٨٨) ضعيف. (١/ ٣٣٧/ رقم: ٣١١٧) ضعيف.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زوارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.